كليــة دار العلـوم
قسم الدراسات الأدبية

مقدمات الكتب الأدبية في الأندلس

من بداية القرن الخامس إلى سقوط غرناطة

دراسة تحليلية للنص الموازي

بحث علمي لنيل درجة الماجستير

إشراف

الأستاذ الدكتور/ عبدالحميد إبراهيم شيحة

إعداد

محمود إمام أحمد عبداللطيف

المعيد بالقسم

٢٠١٧م

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ

وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ

وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾ [الأحقاف: ١٥]

شـكـر وتـقـدير

بـأعظم معـاني الشـكر وأصـدقها وأخلصـلها أتوجـه إلى الأسـتاذ العظيم والناقد الكبير الأستاذ الدكتور/ عبدالحميد إبراهيم شيحة، ولو ظللت عمري كله على ذلك الشكر ما وفيته شيئًا من حقه. .

كمـا أتقـدم بعظـيم الشـكر وجليـل التقـدير لأسـتاذيَّ الكـريمين والعـالمين الكبيرين الأسـتاذ الدكتور (شـعبان محمـد مرسـي)، والأسـتاذ الدكتور (أشرف علي دعدور) لقبولهما مناقشة هذا البحث وتقويمه.

الباحث

مقدمة

الحمد لله الذي نعمه لا تحصىٰ ولا تعد، والصلاة والسلام علىٰ نبيه محمد صلاة وسلامًا يفوقان الوصف والحد، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبعه إلىٰ الأبد، وبعد:

فإن الأندلس بقعة خالدة من أرض الثقافة العربية الإسلامية، تهفو إلىٰ دراستها النفوس، وتجنح إلىٰ رونقها الأرواح والعقول، مدفوعة بحنين إلىٰ فردوسها الموجود ثقافة وأدبًا وتاريخًا، وهذه الثقافة المتجذرة في أعماق التاريخ، الباقية رغم اشتداد الرياح الهوج لا تنقطع عطاءاتها البحثية. والأدب الأندلسي اختلطت فيه الدماء المشرقية بالبيئة الأندلسية فنبت أصيلًا متفردًا بهذا المزج المتفرد.

والأندلسيون أهل أناقة وافتنان في الفصاحة والبيان، ونثرهم الأدبي خير شاهد علىٰ ذلك، ومن فنون النثر عندهم التي ينبغي أن يلتفت الباحثون إليها ويولونها العناية اللائقة بقيمتها الأدبية –مقدمات الكتب، فإنها لوحات فنية مرسومة بالكلمات مشتملة علىٰ قضايا ثقافية تتعلق بالهوية الأندلسية، وقضايا نقدية وأدبية لها جذورها المشرقية، وأغراض فنية متعددة لها ارتباط في كثير من الأحيان بموضوع الكتاب ومادته، كتبت بأسلوب أدبي معهود علىٰ الأندلس والأندلسيين، يقف علىٰ القمة في استعمال البديع خاصة. فانصرفت هذه الدراسة إلىٰ مقدمات الكتب الأدبية محاولة إعادة القيمة الأدبية للمقدمات عامة ومقدمات الأندلسيين خاصة، فتناولت المقدمات نقديًّا وفنيًّا لبيان قيمتها النقدية والأدبية.

أسباب اختيار الموضوع:

١- القيمة الأدبية للأدب الأندلسي عموما وللنثر الأندلسي خصوصًا ولمقدمات كتب الأدب الأندلسي بشكل أخص.

٢- نـدرة الـدر العلميـة –علىٰ حسـب علـم الباحـث- حـول مقـدمات الكتـب عامـة والأندلسية خاصة.

٣- ندرة الدراسات –علىٰ حسب علـم الباحـث-التي تتنـاول المقـدمات باعتبارهـا نصوصـا أدبيـة مثلهـا مثـل الرسـائل والخطـب وسـائر الفنـون النثريـة المشـهورة المعروفة.

٤- جمع المقدمات موضوع الدراسة بين القضايا الثقافية والنقدية والأغـراض الفنيـة الأدبية، مما يعطي لدراستها من الجهتين أهمية كبيرة.

٥- الإجابة علىٰ مجموعة من الأسئلة منها:

- هل يمكن اعتبار مقدمات الكتب جنسًا أدبيًّا مستقلًّا؟
- كيف كانت نظرة القدماء إلىٰ المقدمات وما أهميتها لديهم؟
- وكيف هي نظرة النقاد المحدثين إلىٰ المقدمات؟ وكيف تناولوها؟
- ما العلة في غياب المقدمات من بعض الكتب؟
- ما القضايا النقدية التي لها حضـور في المقـدمات؟ وكيـف كـان تناولهـا فيها؟ و إلىٰ أي مدىٰ كان حضورها؟
- هل في المقدمات أغراض فنية كالحال في الشعر؟ وما هـذه الأغـراض؟ وكيف تناول الكتاب هذه الأغراض المختلفة؟

وهذه الدراسة محاولة في بيان ذلك، علىٰ الرغم من قلة ذات اليد العلمية، والعمل البشري يحوطه النقص من كل جانب.

حدود الدراسة:

تنوعت حدود هذه الدراسة بين حدود موضوعية وزمنية ومكانية؛ أما الموضوعية فهي تتناول مقدمات الكتب الأدبية، وهذه الكتب علىٰ صنفين: أولهما الكتب التي مادتها الأدب نثرا وشعرا، والآخر الكتب التي تعد من مصادر الأدب، وإن لم تكن موضوعة فيه رأسًا ككتاب الإحاطة مثلًا علىٰ أن يكون المؤلف أندلسيا.

أما الحدود الزمنية: فالدراسة تبدأ من القرن الخامس وتنتهي بسقوط غرناطة.

والحدود المكانية: في الأندلس والكتاب المنتمين إليها حقيقة وجغرافيا.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة من أجل الوصول إلىٰ الأهداف المحددة منها والإجابة علىٰ الأسئلة التي تطرحها الاعتماد علىٰ منهج يقوم علىٰ مجموعة من الخطوات الإجرائية:

١- المنهج في اختيار الكتب لا يرمي إلىٰ الاستقصاء، ويكتفي بعدد لا بأس به من الكتب لدراسة مقدماتها، والعينة غير المقصودة أدل علىٰ الظاهرة من الاختيار المقصود للعينة.

٢- تناول المقدمات في كتب التراث الأدبي العربي وتصنيف النقول التي تم التوصل إليه بحيث تعطي تصورًا لنظرة القدماء للمقدمات. وكذلك تتبع ذلك -ما أمكن- في الدراسات الحديثة للتأطير النظري للمقدمات.

٣- الاكتفاء عند تناول القضايا النقدية بتتبع مختصر لها في المصادر المشرقية.

٤- عدم تناول الأغراض الفنية بالتنظير، حيث كثر تناول ذلك في المراجع المختلفة، والتركيز علىٰ تحليلها.

٥- انتقاء النماذج المحللة في الأغراض الفنية وعدم استقصاء الشواهد الدالة علىٰ الأغراض الفنية لسببين: عدم الإطالة في البحث أكثر من الحاجة، والسبب الآخر التمثيل بالنماذج كاف لبيان الغرض الفني جملة.

٦- ذكر النموذج ثم المعاني المتوخاة من أجل بيان الغرض الذي يبدعه الكاتب. ثم الوسائل التعبيرية التي استعملها في التعبير عن هذا الغرض.

٧- الاكتفاء عند تحليل النماذج بتحليل الوسائل التعبيرية الأسلوبية التي أدت دورًا مهمًّا في بيان الغرض الفني.

٨- الربط- ما أمكن – بين الغرض الفني وموضوع الكتاب ومدىٰ ارتباطه به، في الأغراض المختلفة مثل التحميد والصلاة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم والعتاب واللوم والمدح والاعتذار.

٩- العناية بالبديع أكثر من غيره من الوسائل التعبيرية؛ لأنه الطريقة الأكثر أهمية في التعبير عن الغرض.

١٠- العزو التفصيلي للنقول في أول موضع يذكر فيه المصدر في الحاشية ثم العزو الإجمالي في المرات التالية لذلك.

الدراسات السابقة:

الدراسات التي تناولت عتبات النص والنص الموازي كثيرة نسبيًّا من لدن جيرارد جينيت إلىٰ الآن، ولكنها لها نصيب من العموم لا يجعل المقدمات حاضرة فيها حضورًا يفيد من بعيد، ولا يغني عن تناولها ودراستها بدراسة مستقلة، والملاحظ علىٰ هذه الدراسات أنها

متعلقة في غالبيتها بالروايات لا الكتب، أما الدراسات التي تناولت مقدمات الكتب فكانت كالتالي:

١- كتاب مقدمة الكتاب العربي في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع. تأليف الدكتور عباس أرحيلة، تناول مقدمات الكتب منذ بدايات التأليف إلىٰ النهضة العربية الحديثة، تنتاول المقدمات لا لكونها عملا أدبيا، ولكن باعتبارها جزءًا من ميدان البحث والتصنيف، واهتم كتابه ببيان مفهوم المقدمة ووظيفتها ومكوناتها ومقاصد أصحابها وأبعادها التداولية في ضوء منهج تاريخي وصفي.

٢- مدخل إلىٰ عتبات النص. دراسة في مقدمات النقد العربي القديم. رسالة علمية للباحث عبدالرزاق بلال، نوقشت بالمغرب ثم طبعت في كتاب من مطبوعات دار إفريقيا الشرق سنة ٢٠٠٠م، درس فيها الباحث مقدمات الكتب الآتية (البديع لابن المعتز- نقد الشعر لقدامة بن جعفر- عيار الشعر لابن طباطبا، أخبار أبي تمام للصولي- الموازنة للآمدي – الوساطة للجرجاني). من الناحية النقدية.

٣- المقدمات النقدية القديمة في الشعرية العربية. دراسة وتحليل. رسالة ماجستير إعداد الباحثة نبيلة أعبش نوقشت بجامعة العقيد الحاج لخضر باتنة بالجزائر تناولت بعض القضايا النقدية في مقدمات الكتب، مثل اللفظ والمعنىٰ والطبع والصنعة والمنظروم والمنثور والانتحال واللحن وغير ذلك، وهي تتماس في الفكرة مع الفصل الثاني من هذه الدراسة، وإن كانت تختلف من حيث القضايا ومقدمات الكتب التي تناولتها.

٤- المقدمات في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي دراسة تحليلية نقدية، نوقشت بجامعة أم القرىٰ عام ٢٠١١م للباحثة سمية بنت عبدالهادي العمري. وتختلف مع هذه الدراسة في المقدمات المدروسة وفي الفترة التاريخية وفي القضايا والأغراض وغير ذلك.

٥- مقدمات المفسرين بين النظرية والتطبيق : دراسة نقدية. رسالة دكتوراه جامعة اليرموك، للباحث عبدالله الصمادي نوقشت بالأردن عام ٢٠٠٨. وبين أن المجال مختلف مع الدراسة.

٦- مقدمات كتب علوم الرواة . دراسة تحليلية. للباحثة مارية بسام محمد، نوقشت بالأردن بجامعة اليرموك، وهي لا تختلف عن الدراسة السابقة إلا في الكتب، وهي تتناول مقدمات كتب الرواة.

هناك عدد لا بأس به من البحوث العلمية في المجلات الأدبية، استفدت منه في هذه الدراسة، وهو من ضمن مراجعها، فلا أتخم المقدمة به.

خطة الدراسة:

قُسمت هذه الدراسة – حسب ما تقتضيه طبيعتها- إلىٰ مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول:

أما المقدمة فتناولت أسباب اختيار الموضوع والأسئلة التي يطرحها، والدراسات السابقة، والإجراءات المنهجية المتبعة وخطة الدراسة.

واشتمل التمهيد علىٰ مفهوم النص الموازي، والاختلاف في نقله إلىٰ العربية والفرق بينه وبين عتبات النص.

الفصل الأول: المقدمات في التراث القديم والنقد الحديث.

واشتمل علىٰ مدخل يتعلق بالمقدمة تعريفًا وبيان الفرق بين مقدمة الكتاب ومقدمة العلم، والمصطلحات المرادفة لها، وجاءت مباحث هذا الفصل كالتالي:

المبحث الأول: المقدمة في التراث العربي.

المبحث الثاني: المقدمات في النقد الحديث.

المبحث الثالث: استقلال المقدمة والنوع الأدبي.

المبحث الرابع: غياب المقدمة.

والفصل الثاني بعنوان: القضايا النقدية في مقدمات الكتب الأدبية في الأندلس

واشتمل علىٰ المباحث التالية:

المبحث الأول: التبعية للمشرق وأثرها في الأندلسيين.

المبحث الثاني: قضية مفهوم الشعر.

المبحث الثالث: قضية القديم والجديد.

المبحث الرابع: قضية المفاضلة بين الشعر والنثر.

المبحث الخامس: قضية النقد الأخلاقي للأدب.

والفصل الثالث بعنوان: الأغراض الفنية في المقدمات.

واشتمل علىٰ الأغراض التالية:

١- الثناء علىٰ الله عز وجل.
٢- الصلاة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم.
٣- غرض المدح وفيه:
- أولًا: مدح العلماء

- ثانيًا: مدح العلم.
- ثالثًا: مدح الكتاب ومادته.
- رابعا : مدح الأمراء.

٤- غرض الاعتذار

٥- غرض العتاب واللوم

٦- غرض الفخر

٧- الوطنيات

٨- الإخوانيات.

ثم ختمت الدراسة بخاتمة تبين أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وفي ختام القول -بعد شكر الله تعالىٰ- أقدم الشكر محفوفًا بسُحُب الاعتراف بالجميل، والإقرار بالفضل لأستاذي الناقد الكبير الأستاذ الدكتور عبدالحميد إبراهيم شيحة، وموجبات شكره من الكثرة بحيث يضيق مقام التقديم عنها؛ سعةَ صدر وعظيمَ اهتمام ومداومةَ تعاهد وجليلَ إمداد نفسي وعلمي وأدبي، فسقىٰ نبتته العلمية وتعاهدها بالرعاية والصيانة وغذاها بما تنمو به وتقوىٰ، وهو في خلال سني معرفتي به لم يبخل علي بما أحتاج إليه، ولم يضن بوقت أو جهد في قراءة ما أكتب أولا بأول ويوجه ويرشد ويصحح منهجا وفكرا ولغة وأسلوبًا، فأسأل الله أن يمتعه بالصحة، وأن يعينني علىٰ الوفاء بشيء من هذا العطاء والفضل.

تمهيد

مفهوم النص الموازي:

دخل مصطلح النص الموازي حديثًا إلىٰ الساحة الأدبية والنقدية، وإن كان معناه أشير إليه –كما سيتضح فيما يأتي– في المصادر العربية التراثية، وبدت أهمية النص الموازي حديثًا علىٰ يد الناقد الفرنسي جيرارد جينيت.

والاهتمام بالنص الموازي نابع من أهمية النص الأصلي المرتبط به؛ إذ يعمل علىٰ فك شفرة هذا النص، وإزالة معوقات التواصل بين النص الأصلي والقارئ، وذلك لأن «التواصل من خلال اللغة – بل من خلال اللغات المختلفة وأنظمة العلاقات برمتها– محفوف بالمخاطر والصعاب؛ للعديد من الأسباب، منها اختلاف اللغات واللهجات وأنظمة العلامات، أو لأن العلامة الواحدة تحمل أكثر من دلالة، بل قد يكون لها عدد من الدلالات لا بد من الاختيار بينها كما قد يكون النص نفسه ملغزا ملتبسًا، يصعب التوصل إلىٰ مغزاه، أو تكون الشفرة التي صيغ النص فيها ضاعت واندثرت، كما يتعذر التوصل إلىٰ المغزىٰ إذا جهل القارئ الغرض من إنتاج النص، أي أن هذه الصعاب قد تحول بين القارئ والنص، فيصبح النص مغلقًا صامتًا لا تستطيع التوصل إلىٰ دلالته.

وقد استحدثت وسائل وطرق لحل هذه الصعاب، فابتدعت الثقافات علومًا وقع علىٰ عاتقها فك طلاسم النصوص المختلفة ...، ومع اختلاف قواعد وآليات كل من هذه العلوم، إلا أنها تشترك جميعًا في أنها تبتدع نصًّا موازيًا للنص الملغز الذي تحاول التغلب علىٰ صعوبة فهمه»[1].

(١) سيزا قاسم: القارئ والنص العلامة والدلالة ١٣٣. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مكتبة الأسرة ٢٠١٤م.

النص الموازي منقول عن كلمة paratext، وتعني «أهداب النص؛ مقدماته، وحواشيه، وهوامشه، وذيوله، هذا مصطلح من وضع جينيت في كتابه seuils ١٩٨٧، أي الأعتاب أو المدخل أو الحدود، ويبدو أن هذا المصطلح يبنىٰ علىٰ نموذج paralanguage، فالمظاهر شبه اللغوية هي المظاهر المصاحبة للألفاظ المنطوقة، مثل الشهقات والزفرات، ونبرات الصوت، وتعبيرات الوجه، وحركات اليدين والجسم وما إليها»[١].

وهذا التعريف قائم علىٰ تشبيه النص الموازي -في علاقته بالنص الأصلي- بالمظاهر شبه اللغوية -في علاقتها بالمظاهر اللغوية- ولعل وجه الشبه هو التوضيح والبيان، وإن كان الأمر مختلفًا بعض الشيء؛ فغالبا يكون النص الموازي من جنس النص الأصلي، أما المظاهر شبه اللغوية فليست من جنس اللغة المنطوقة، والتشبيه -علىٰ كل حال- صالح؛ لتوضيح أثر النص الموازي في مساعدة النص الأصلي في الدلالة المطلوبة.

وعُرف النص الموازي أيضًا بأنه «العناصر الموجودة علىٰ حدود النص داخله وخارجه في آن واحد، تتصل به اتصالًا يجعلها تتداخل معه إلىٰ حد تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليته، وتنفصل عنه انفصالًا يسمح للداخل النصي كبنية وبناء أن يشتغل وينتج دلالته».[٢]

ومن هذا التعريف يظهر أن النص الموازي له دور يتصل بالنص الأصلي اتصالًا إلىٰ حد التداخل، وينفصل عنه انفصالًا يسمح له بإنتاج دلالته، وإن كان هذا التعريف قد

---

(١) محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة. دراسة ومعجم إنجليزي عربي ٦٩ من المعجم. المكتبة المصرية العالمية للنشر. القاهرة. الطبعة الثالثة. ٢٠١٢م.

(٢) محمد بنيس: الشعر العربي بنياته وإبدالاتها التقليدية ٧٦. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب. الطبعة الأولى. ١٩٨٩م.